17 eme Année No. 852 — Lundi 30 10 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من وحي الهجـــرة (*)

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل ، في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ، وبلد غير ذي زرع . فلق صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكَلَب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مسلَّط ، فحوّل مكة للشرك جبلا من السعير سدّ على الرسول طريق الدعوة ، فكان يحفر في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب . وتفجرت عليه من كل مكان سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والسباب والمعارضة . وكل قرشي كان يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله . واتفق كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول ، فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا لان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه في (دار الندوة) فقرّر القتل ، وتدخل الله بروحه في (غار ثور) فقدّر النجاة . وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المؤتمرين في الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهناك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله .

كان يوم الهجرة الذي جعله عمر الحكيم العظيم تاريخاً للمسلمين يحسبون منه أيامهم ، ويؤرخون به أحداثهم ، خاتمة وفاتحة : كان خاتمة لثلاثة عشر عاماً من المحن الشداد والآلام الفواتل تظاهرت على الإيمان والصبر حتى قال الرسول وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ وكان فاتحة لثلاثة عشر قرناً من النصر المؤزر والفتح المبين ، أعلن العرب فيها كلمة الله ، وبلغوا رسالة الحق ، وحملوا أمانة العلم ، وأرشدوا الضال فاهتدى ، وعلموا الذليل فعز ، وعلموا الجاهل فتعلم ، ومكنوا في أرضهم الفصيحة ودنياهم العريضة لعناصر الجمال والخير فتقوت في كل نفس ، وازدهرت في كل جنس ، وانبثت في كل مذهب ، وانتشرت في كل أفق ؛ وحققوا لهذا الإنسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوة التي يعم بها النعيم ، والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك ؛ لأن رسالة محمد لم يوحها الجوع ولا الطمع ، وإنما أوحاها الذي خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، وأوجد الفساد والصلاح ، ليبرأ قوة بقوة ، وينقذ إنساناً بإنسان .

كان يوم الهجرة إلى المدينة وما قبله تشريعاً من الله في حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغي على حقه الباطل ، وطغى على دينه الكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز .

وكان يوم العودة إلى مكة وما بعده تشريعاً من الله على لسان

(*) أذيعت في مساء الأحد أول المحرم من دار الإذاعة اللاسلكية بالقاهرة

بصنوف من الاحتقار والزراية ، وعقله يضطرم بضروب من الكراهية والمقت . لقد غطى الشيطان على عيني الفتى — حيناً — فلم يدقم بزخرف الحديث للزوجة ويختلها بالمظهر البراق ، يوهمها أنه شيء وما هو بشيء ، وفي طبيعة المرأة ضعف وفي جبلتها خور فأسلمت له وانقادت فهوت . ولكن عقل الفتى كان يحزه — بين الحين والحين — وخزات عنيفة توقظ في نفسه الندم أن اقترف الجريمة الشنعاء في ساعة من ساعات الطيش الجامح ، غير أنه يرى الزوجة الخائنة إلى جانبه تبسم له في رقة وتحنو عليه في عطف ، فيرق لها قلبه وتتحرك في فؤاده نوازع الرحمة يشوبها الاحتقار ، وتضطرب في نفسه دوافع الشفقة ممزوجة بالبغض .

أما هي فكانت تتملقه وهي ترى ثوب الرياء الذي تسربله حيناً من الزمن يتكشف أمام ناظريها عن ألوان من الضعة والسفالة والفقر ... ولكنها كانت تتملقه وهي تحس في نفسها ألماً يتصدع له قلبها وينقد فؤادها ... تتملقه لأنها لم تعد شيئاً سوى جيفة نتنة ملقاة على الثرى ، وهي تخشى أن يقذف بها صاحبها إلى عرض الشارع .

لا عجب ، فقد كان الشاب — في يوم ما — يحب الزوجة حباً يراه قالعاً كبده ، ولكنه كان حب الحيوان يرنو إلى الأنثى ليقضي منها وطراً . فلما ظفر بمأربه بدأ الملل يتسرب إلى قلبه وضاق هو بحاجات المرأة ورغائبها ضئيل نافه . وخانته شجاعته فلم يقو على أن يكشف لها عن خواطر نفسه ، فعاشا معاً زماناً .

وانطوت الأيام تمسح بيدها الرفيقة على قلب الزوج عسى أن تلتئم جراحه أو تسري عنه بعض همه ، وترفقت به العناية الإلهية فتدفقت في مفاصله روح الصحة والعافية ، فإذا هو — بعد أيام — في مكانه في المدرسة يجد السلوة في عمله بين كراساته ودفاتره وتلامذته . ولكن سترا كثيفاً من الأسى ما زال ينسدل على جبينه فيبدو كئيباً ضيق النفس لا تنفرج شفتاه — أبداً — عن ابتسامة .

وسأله صاحب له — ذات مرة — عن ما أصابه فقال : « لقد ماتت زوجتي وخلفت لي صغاراً لا أجد من يكفلهم في غيبتي وإن عملي ليرغمني على أن أنفق ساعات النهار كلها في المدرسة » فقال له صاحبه « أحقاً ما تقول ؟ » قال « نعم ، لقد ماتت من تاريخي أنا فقط » وتراءى لصديق أن حادثة اجتاحت الزوجة وطمست على بشاشة الزوج في وقت معاً ، فقال له في لهفة وشفقة « وكيف ؟ »

فجلس إليه يقص القصة كلها وإن عبراته لتتدفق هتّانة ثم قال : « وأنا الآن أضيق بالحياة فما أصبر على الوحدة ولا أستطيع أن أتزوج فأضرب أولادي باليتم والضياع . فلا مندوحة لي عن أحد أمرين : إما أن ألقي بنفسي في اليم فأخلص من عذابي بين أمواجه وإما أن أذهب إلى السودان مرة أخرى فأفقد روحي بين لظى الحر وقيظ الهاجرة » فقال له صاحبه في فزع : « وأولادك ؟ ... أولادك يا أحمق ؟ » واضطرب قلب الرجل فآثر أن يبقى بين أولاده يرعى شأنهم ، وهو يتشبث بالصبر والسلوان . وكان صاحبه ذا شأن ومكانة فجذبه من مشغلة التدريس إلى فراغ الديوان ليجد من وقته فراغاً للدار ومن قلبه سعة للولد .

وقضى الزوج سنة ذاق فيها غصة الحياة ومرارة الوحدة ، وأحس — هو وصغاره — حرقة اليتم ولذع الضياع ، واستشعر — وحده — قسوة القدر وقاظة الأيام . على حين كانت الزوجة الخائنة تعيش بين ذراعي فتى يصغرها بسنوات ويضيق بعشرتها ، ويرى فيها فنوناً من الضعة والصغار ، ويخشى أن تعبث به كما عبثت بزوجها من قبل ؛ وما حاله بأحسن من حال زوجها يوم أن كان ، ولا هو أعز عليها من أولادها ... ثم ثارت به الشكوك وساورته الريبة !

وجلست الساقطة — ذات ليلة — إلى خاتها تطلب إليه أن يرتبطا معاً بالرباط المقدس ... الزواج ، وتلح في الطلب . ولكنه امتنع عليها وأعرض عنها !

يا لجهل الحمقاء ! لقد غرب عن عقلها الفج أن المرأة المهينة هي لعبة تافهة بين يدي الرجل يلهو بها ساعة ، ثم يحطمها ويلقيها بالعراء ؛ لا يحمل لها في نفسه إلا المهانة والاحتقار ، وأن المرأة العصية هي في ناظريه كالطود الأشم ينحسر عنها البصر كلما اقترب منها لأنها تتراءى أمامه شامخة باسقة .

وألحت الحمقاء في الطلب فثار صاحبها ثورة قذفت بها إلى عرض الشارع وهو يقول « أفأتزوج هذه العاهر .. هذه الفاسقة ؟ »

وخرجت الخائنة إلى الشارع في ليلة ممطرة وإن أسمالها لتتصلك من شدة البرد ، وإن جسمها لينتفض من زمهرير الشتاء وإن عبراتها لتنهمر من حيبة الرجاء وضيعة الأمل .

واقتص القدر من الزوجة الخائنة حين قذف بها إلى الشارع لا تجد العون ولا المأوى ، فيا للقصاص العادل ... يا للقصاص !

كامل محمود حبيب